# الملكة ميلسندا (1131–1153م)
# وضيفة خاتون (1185–1242م)
# دراسة مقارنة

د/ صفاء عثمان
جامعة عين شمس

obeikandl.com

# الملكة ميلسندا (1131–1153م/525–548 هـ) وضيفة خاتون (1185–1242م/581–640 هـ) دراسة مقارنة

يتناول هذا البحث بالدراسة الملكة ميلسندا Melisende (1131-1153م/525-548 هـ) (1) وضيفة (2) خاتون (3) (1185-1242م) دراسة مقارنة وذلك من حيث أن الملكة ميلسندا قد حكمت مملكة بيت المقدس الصليبية لما يقرب من 22 عاما بينما حكمت ضيفة خاتون مدينة حلب الإسلامية مدة ستة أعوام فى عصر يعد من أخطر العصور وهو عصر المواجهة الصليبية – الإسلامية.

كما أن الملكة ميلسندا وضيفة خاتون كانا فى فترة من فترات حكمها أوصياء على أبنائهم فعلى سبيل المثال الملكة ميلسندا كانت وصية على إبنها بلدوين الثالث Baldwin III (1144-1162 م) بينما ضيفة خاتون كانت وصية على إبنها الملك العزيز محمد بن السلطان الملك الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين الأيوبى (1212-1236م) .

أضف إلى ذلك أن كلتاهما واجهت العديد من الأخطار الداخلية والخارجية فالملكة ميلسندا واجهت خطر داخلى وهو الحرب الأهلية التى أدت إلى إنقسام المملكة بالإضافة إلى مواجهة الخطر الإسلامى المتصاعد بينما ضيفة خاتون واجهت الإنقسامات فى البيت الأيوبى، بالإضافة إلى الخطر الخارجى المتمثل فى التركمان والصليبيين والخوارزميين، ولم يتسن لها مواجهة الخطر المغولى، إذ توفت قبل ذلك فإلى أى مدى حافظت تلك المرأتين على حكمهما من القلاقل الداخلية والخارجية وما مدى مساهمتهما فى إفشال المشروع الصليبى فى بلاد الشام؟

زد على ذلك الجانب الإجتماعى لدى كل منهما فالمجتمع الإسلامى فى ذلك

الوقت كان يقوم على الحضارة والتمدن فإمتلئت المدن الإسلامية مثل دمشق وحلب بالعديد من الجوامع والمدارس والخانقاوات، بينما الكيان الصليبى لم يكن يمثل مجتمعا بالمعنى الحقيقى للكلمة، فقد كان قائماً على الحرب، وكل الإنشاءات تصب فى آلة الحرب، ولم يترك لنا سوى القلاع، كما أن المنح والإقطاعات التى كان يهبها الملوك الصليبيين للكنائس والأديرة فى إعتقادى كانت تصب فى النهاية لدعم آلة الحرب وإسترضاء الكنيسة ورجال الدين.

وفيما يتعلق بالملكة ميلسندا نجد أنها قد تولت حكم مملكة بيت المقدس الصليبية وذلك بعد وفاة الملك بلدوين الثانى Baldwin II عام (1131 م) (4) فقد حرص الملك بلدوين الثانى قبيل وفاته على تدبير أمر وراثة العرش، حيث أنه لم ينجب سوى أربع بنات وهن: ميلسندا Melisende وأليس Alice وهوديرنا Hoderna وإيفيتا Iveta وكانت ميلسندا أكبرهن ويحق لها وراثة العرش (5)، فبحث لها عن زوج كفء يحمل عبء الحكم معها، وتم عقد مجلس لبارونات المملكة، ووقع الإختيار على فولك أوف أنجو Fulk of Anjoy (1131-1143 م) (6)، وكان رجلاً فى الأربعين من عمره وهنالك أصبح فولك وميلسندا يحكمان مملكة بيت المقدس الصليبية .

وقد كانت قوانين الوراثة فى مملكة بيت المقدس الصليبية تنص على أن ينقل الحكم إلى أكبر الإناث فى حال عدم وجود ذكر، شرط أن تكون متزوجة وتحكم مناصفة مع زوجها، وقد أدى ذلك إلى إختيار بلدوين الثانى زوجا لها، إما إنها لا ترضى به أو إنها تستبد به، وبحكم المملكة فى النهاية بما لا يخدم الصالح العام فى المملكة، وهو ما حدث بالفعل، فعلى سبيل المثال نجد أن الملكة ميلسندا كانت متعلقة منذ شبابها بفارس صليبى يدعى هيو دى بوازيه Hugh de Puiset كونت يافا، ولم تقلع عما هى عليه حتى بعد زواجها وتوليها العرش، وقد نمى الأمر إلى الملك فولك، ولكنه آثر السكوت، وفيما بعد لقى كونت يافا مصرعه على يد أحد الفرسان (7)، الأمر الذى زاد من حنق الملكة، فما كان من الملك فولك إلا أن إجتهد فى كسب ودها فأطلق لها العنان تفعل ما تريد، فأقبلت تتدخل فى كل شأن من شئون المملكة، ولم يعد يتخذ قراراً – مهما كان تافهاً دون علمها أو

"إستشارتها" (8).

ولم يلبث فولك أوف أنجوي أن توفى عام (1143 م) وآلت الأمور فى مملكة بيت المقدس الصليبية لزوجته ميلسندا وإبنها القاصر بلدوين الثالث (9)، وكان ذلك فى مرحلة حرجة أخذت تتجمع فيها بوادر تكوين الجبهة الإسلامية المتحدة نتيجة لجهود عماد الدين زنكى – أتابك الموصل – الذى نجح فى الإستيلاء على الرها – أولى الإمارات التى أسسها الصليبيون فى الشرق عام (1144 م) –(10)، ولم تفلح القوة التى أرسلتها ميلسندا بقيادة كونستابل مناسيس Manasses فى منع وقوع إمارة الرها (11)، إذ أخذت وقتا طويلا كى تصل (12) وكانت تلك أولى المخاطر الإسلامية الخارجية التى تعرضت لها ميلسندا، وفشلت فى مواجهتها بل وسارت الأمور فى المملكة من سيء إلى أسوأ بدءاً من رحيل فولك أوف أنجو ثم سقوط الرها وتعرض إمارة أنطاكية لهجمات معادية على الدوام(13).

ومن ناحية أخرى لم تستطع ميلسندا جمع شمل الأمراء الصليبيين وقت الخطر، فلم تكن من القوة ما يجعلها توفق بين أتباعها، فمنذ وفاة الملك فولك أوف أنجو أصبح نفوذها ضعيفاً على أميرى الرها وأنطاكية (14)، ذلك أن إمارة أنطاكية لم تقدم الدعم والمعونة لإمارة الرها ولم يرسل أميرها أية نجدة (15)، علي الرغم من أن إمارة أنطاكية هى الأقرب إلى الرها من مملكة بيت المقدس التى أستغرقت مساعدتها وقتا طويلا لكى تصل، وقد كان غياب التعاون بين كل من إمارتى الرها وأنطاكية ومملكة بيت المقدس الصليبية من أجل درءالخطر الإسلامي سببا كافيا لسقوط إمارة الرها (16) مع عدم إغفال العوامل الداخلية والخارجية الأخرى، وهكذا كان فشل الملكة ميلسندا فى توحيد الجبهة الداخلية لمملكة بيت المقدس الصليبية، وبالتالى فشلها فى مواجهتها للمخاطر الخارجية المتمثلة فى المسلمين.

ولم تلبث أن زادت الأمور سوءاً إذ تحكمت الملكة ميلسندا فى توجيه سياسة المملكة توجيها خاطئاً، ولم توفق فى الإستفادة من حملة لويس السابعLouis IV الذى وصل إلى الشام عام 1148 م (17)، حيث وجهت الحملة بسبب سياسة الأنانية التى

ينتهجها صليبيو بيت المقدس الذين يعارضون القيام بحملات الشمال إلى دمشق، علي الرغم من الصداقة الوطيدة التى ظلت لأعوام طوال بين أهل دمشق والصليبيين (18)، فقد عقد إجتماع فى مدينة عكا الساحلية حضرته القوى الصليبية المتمثلة فى: لويس السابع ملك فرنسا، وكونراد الثالث Conrad III امبراطور ألمانيا، وميلسندا ملكة بيت المقدس الصليبية، وتشاوروا فيما بينهم ثم إستقر رأيهم على مهاجمة دمشق بدلاً من إستعادة الرها(19).

وهكذا إنحرفت الحملة الصليبية الثانية عن هدفها الأساسى الذى أتت من أجله إلى الشرق، وهو القضاء على الزنكيين وإسترداد شمال الشام، وإستعادة الرها، وجنحت نحو مساعدة بيت المقدس الصليبية التى كانت أقل الوحدات الصليبية تعرضاً لضغط المسلمين عندئذ (20). ويتعرض العديد من المؤرخين بالنقد لتلك السياسة التى أنتهجتها ميلسندا ويصفونها بالحمق وضيق الأفق على نحو جعلها تحارب أقرب حليف لها فى صورة أتابكية دمشق، وإنهيار التحالف بين الجانبين بصورة نهائية (21) ، وأدى الهجوم الطائش لتلك الحملة إلى إندفاع دمشق نحو ذراعى نور الدين محمود عام 1154 م (22) وميل ميزان القوى لصالح المسلمين وربما رأه البعض أنها مقدمة لإنتصارات حطين(23).

وبذلك يتضح لنا مدى التغير الذى طرأ على أوضاع الصليبيين فى بلاد الشام ومثلهم ومبادئهم، فبعد أن كان ملوك بيت المقدس السابقون مثل بلدوين الأول وبلدوين الثانى وفولك الأنجوى يضحون بأنفسهم ومصالحهم، ويتحملون الأخطار فى سبيل نجدة الرها وأنطاكية وطرابلس، إذ بمملكة بيت المقدس فى عهد ملكها القاصر بلدوين الثالث وأمه الوصية ميلسندا تسعى لحرمان الإمارات الصليبية فى الشمال من حق مشروع فى المساعدة أو النجدة لتستغل حملة صليبية فى تحقيق مكاسب تكميلية لنفسها (24).

ومع ذلك لم تشأ ميلسندا أن تتخلى عن السلطة عندما بلغ إبنها بلدوين الثالث سن الثانية والعشرين – سن الرشد – وأصرت على أن تتوج معه؛ ليستمر زمام الأمور فى يدها، فإتفقت مع بطريرك بيت المقدس على أن يعاد تتويجها هى الأخرى مع ولدها إشارة

إلى مقاسمتها له النفوذ والسلطان، بل أن بعض أشياع ميلسندا وضعوا مشروعا لتقسيم المملكة بين بلدوين الثالث وأمه، فتأخذ ميلسندا بيت المقدس ونابلس ومتعلقاتهما، وتترك لولدها – الملك الشرعى – الأطراف الساحلية مثل صور،وعكا، وملحقاتهما. وكان هذا حلاً سقيماً لا يقتنع به الملك ولا تستقيم به الأمور فتجدد النزاع بينهما، وصمم بلدوين الثالث على أن تكون مملكة بيت المقدس وحدة واحدة لا يحكمها غيره، ولذلك أجل الموعد المحدد الذى حدد لتتويجه حتى إذا ما مضت أيام دخل بمفرده كنيسة القيامة فجأة، وطلب من البطريرك تتويجه بمفرده، وقد غضبت ميلسندا لذلك التصرف من جانب ولدها؛ مما أدى إلى غضب أشياعها، ثم إلى قيام حرب أهلية فى المملكة عام 1152 م، وقف فيها الملك والأمراء فى جانب، والملكة والبطريرك فوشيه ومناسيس كونستابل المملكة فى جانب. ولم يجد بلدوين الثالث مفراً من مهاجمة ميلسندا فلما سمعت بخطته غادرت نابلس فى رعاية بعض نبلائها المخلصين وأسرعت إلى بيت المقدس وقام بلدوين الثالث فى الوقت ذاته بجمع قواته ومحاصرة مناسيس فى قلعة يسمونها "ميرابل"؛ فإضطر مناسيس للإستسلام، وتلا ذلك قيام الملك بلدوين الثالث بالإستيلاء على نابلس، وزحف منها إلى القدس مطارداً لأمه، ولما سمعت الملكة بذلك؛ إرتدت إلى القلعة فبادر بمحاصرة القلعة التى إعتصمت بها الملكة الوالدة وإنتهى الأمر بتخلى الملكة عن بيت المقدس عاصمة المملكة، والإكتفاء بمدينة نابلس وما حولها (25)، وكانت هذه الخلافات الداخلية ذات نفع عظيم لنور الدين محمود، إذ أنه فى ذلك الحين كان قد مضى فى تنفيذ خطته للإستيلاء على مدينة دمشق(26).

وقد يتخيل للباحث من الوهلة الأولى أن الملكة ميلسندا كانت من القوة بحيث إستمرت فى حكم مملكة بيت المقدس مدة طويلة حوالى 22 عاما ويكفى أن نطالع ما سطره المؤرخ الصليبى وليم الصورى عن الملكة ميلسندا وكيف "أنها إمرأة حصيفة راجحة العقل كبيرة الخبرة بجميع السنون الدنيوية، وقد رأيت كل إمرأة من بنات جنسها فما كانت تدانيها فى مستواها واحدة منهن؛ مما أهلها للقيام بمعالجة الأمور الخطيرة أحسن قيام، كما إنها تطلعت لمنافسة أعظم الأمراء مكانة وقوة، حتى لا تبدو دونهم كفاءة، ولما كان إبنها لا

يزال صبيا غرير، فقد إستقلت بمقاليد الحكم وحدها وسيرت شئون الحكومة بمهارة بلغت من الدقة غاية يمكن أن يقال معها بحق أنها كانت مكافئة لأسلافها فى هذا المجال، وكان الشعب ينعم بما يرغب فيه من طمأنينة كما كانت تدير المملكة بنجاح وإستطاعت أن تحكم حتى ذلك الوقت كوصية حكماً هو فوق قدرة النساء وشجاعتهن " بل أنه يلوم على إبنها بلدوين الثالث مطالبته بالعرش " غير أن الرغبة فى إضطهاد الملكة لم تخمد فى صدر إبنها"(27).

والواقع كان غير ذلك، وكأن المؤرخ وليم الصورى يتحدث عن إمرأة أخرى غير الملكة ميلسندا، فأى رجاحة عقل وخبرة، وما هى الأمور الخطيرة التى أحسنت القيام بها، هل كان من المفترض أن تقع المملكة فى عهدها ولم تقع؟ وكيف أنها مكافئة لأسلافها، وهى تعد أقلهم بشهادة المؤرخين، إن الأمر لا يتعلق بمدة الحكم وأن المملكة لم تسقط فى عهدها، وإنما يتعلق بمقدار ما حققته خلال تلك السنوات. وفى واقع الأمر أنها لم تحقق للمملكة سوى الخراب، ويكفى أنها لم تستطع توحيد الجبهة الداخلية للصليبيين، وتقسيم المملكة إلى نصفين. وأصبح قسم يدين بالولاء للملكة وقسم أخر يدين بالولاء للملك بلدوين الثالث، فأحدثت الفرقة فى صفوف الصليبيين، وذلك على عكس أسلافها الذين كانوا حريصون على وحدة الصليبيين وتماسكهم. وعندما نقارن الملكة ميلسندا بضيفة خاتون والتى حكمت حلب لمدة ستة أعوام فقط تكتشف مدى الإختلاف وأن من يستحق أن يوصف ذلك الوصف هى ضيفة خاتون نفسها وليس الملكة ميلسندا.

فنجد أن ضيفة خاتون قد ساست الأمور فى حلب خير سياسة بعد وفاة إبنها الملك العزيز، وتصدت بحكمة وحنكة سياسية للأخطار الداخلية والخارجية التى واجهت حلب آنذاك، كما دخلت فى علاقات دبلوماسية مع سلاجقة الروم ليكونوا ردءاً لها ضد الأخطار وذلك عن طريق (الزواج السياسى) (28) ولم يتسنى لها مواجهة الخطر المغولى وأكرمها الله بعدم مشاهدتها لهجمة المغول على بلاد الشام لاسيما حلب.

كما كان لها دور ملموس فى أحداث عصرها لا يقل شأناً عن الدور الذى لعبه

القادة العظام فى ذلك العصر، لا فرق بينها وبين أى رجل، وهذا يفسر قوة شخصيتها التى تمتعت بها حيث كانت التواقيع والمكاتبات ترد إليها، فكانت الأمور كلها منوطة بها(29)، وكانت تخاطب فى الرسائل الموجهة إليها (إلى الستر العالى الخاتونى) (30)، وكانت تباشر الحكم بنفسها، حيث كانت تسوس حلب فى تلك الفترة، فكان لا يقرر أمر ولا يبرم إلا بعد موافقتها (31)، وكانت من أصحاب الرأى والكمال (32)، ودبرت الملك أحسن تدبير، وتصرفت فى الملك تصرف السلاطين نحو ست سنين (33)، ونهضت بالملك أتم النهوض، ودبرت الأمور فى حلب مرتين تدبيراً جيداً (34)، وكانت صانعة قرار حتى فى أمور الحرب تتدخل فى وضع الخطط(35)، فكانت بمثابة أساس الدولة(36)، والمرجع فى الأمور إلى والدة الملك العزيز ضيفة خاتون بنت الملك العادل ،وهى إمرأة عاقلة حازمة (الستر الرفيع والجناب المنيع الملكة الرحيمة عصمة الدنيا والدين) ومن ثم فقد أطلق عليها الملكة كما أطلق عليها أيضاً لقب عصمة الدين لما فيه من معنى العصمة التى يجمل وصف النساء بها (37) وكان للملك العادل عدة بنات أفضلهن ضيفة خاتون (38) صاحبة حلب ولقبها الصاحبة والغالب أن هذا اللقب كان بلقب به كبار الوزراء مما يدل على مكانة صاحبه(39)، فقد كانت ذات شخصية قوية تضاهى ملكة مصر شجر الدر حازمة أمينة على السير على نهج زوجها وحكمته (40)، كما لقيت كل العون والإحترام من أبناء الأسرة الأيوبية الحاكمة، وأرسلت لبعضهم السفارات المختلفة فلم يردوا لها طلباً (41)، وتمكنت من الحفاظ على إستقلال حلب، وحفظ الملك بسببها لإبنها وحفيدها (42).

ولقد ولدت ضيفة خاتون فى قلعة حلب عام 1158م (43) وتزوجها الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف حاكم حلب عام 1212 م، وذلك بعد وفاة أختها غازية وأصدقها خمسين ألف دينار (44)، ولم يلبث أن توفى الملك الظاهر عام 1216م(45)، فملكت ضيفة خاتون حلب كوصية على إبنها الملك العزيز محمد (46)، ولما مات أيضاً عام 1237م ملكت أيضاً ضيفة خاتون حلب كوصية على حفيدها الملك الناصر(47)، إلى أن كبر وإستقل بحكم حلب، فحكمت مرتين ولم تلبث أن توفت أيضاً

عام 1244م بقلعة حلب عن عمر يناهز التاسعة والخمسين عاماً ومن العجب إتفاق مكان مولدها ووفاتها(48).

ويلاحظ أنه فى الوقت الذى قامت فيه ضيفة خاتون على حكم حلب كان النزاع والخلاف على أشده بين أبناء البيت الأيوبى خاصة بين السلطان الكامل فى مصر وأخيه الملك الأشرف موسى بدمشق، وكان السبب ذلك ما نمى إلى مسامع الملك الأشرف موسى، أن أخاه السلطان الكامل، يريد أن يستولى على أملاك الأيوبيين فى بلاد الشام والجزيرة، ويعوضهم عنها بمملكة سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى، بعد إستيلائه عليها. ومن أجل ذلك إجتمع ملوك الأيوبيين فى الشام والجزيرة تحت قيادة الملك الأشرف موسى؛ لمواجهة السلطان الكامل، كما تحالفوا مع سلطان سلاجقة الروم ضد السلطان الكامل(49).

ولقد إنضمت ضيفة خاتون إلى الملك الأشرف موسى ضد أخيها السلطان الكامل، فقد كانت تخشى طموح الأخير (50)، كما أنه حدث بينها وبينه وحشة عندما أرسلت إليه رسولين لتخبره بوفاة إبنها الملك العزيز وقيام الملك الناصر إبنه على حلب على أن تكون الأمور كلها راجعة إليها، إلا أن السلطان الكامل لم يحسن إستقبال رسلها، كما أنه أشار على الرسولين بضرورة قيام الملك الصالح بن الملك الظاهر صاحب عينتاب على قيادة العسكر، ويكون له الوصاية على بن أخيه الملك الناصر، ولم ترحب ضيفة خاتون بذلك، بل رأت فى ذلك تدخلاً مباشراً من السلطان الكامل فى شئوون حلب؛ مما أثار شكوكها فى طمعه للإستيلاء على المدينة، ومن ثم إتفقت مع الملك الأشرف وأنصارها على أن تكون كلمتهم واحدة على الملك الكامل وأن يمنعوه من النزول إلى الشام (51).

ويلاحظ أن بعض الأمراء فى حلب ومنهم شهاب الدين يوسف بن عز الدين مسعود بن سابق الدين عثمان صاحب شيزر وكمال الدين بن العجمى أرسلا فى عام 1237م رسولاً إلى الملك الأشرف موسى الأيوبى؛ يطمعانه فى الإستيلاء على حلب، بل وحاولا إيهامه بأنهما حولهما جماعة كبيرة من الحلبيين سوف يساعدونه على ذلك، ولما وصل الرسول إلى الملك الأشرف موسى بدمشق لم يستجب له بل قال لهم " بأنه لا يمكن أن يبدو

منى غدر ولا قبيح فى حق ذرية الملك الظاهر"، ولما علمت الصاحبة ضيفة خاتون بذلك أرسلت من أعترض طريق هذا الرجل أثناء عودته من دمشق، ولما وصل إلى حلب قبض عليه ومازالوا به حتى أخبر عمن أرسله وهما كمال الدين بن العجمى، وشهاب الدين صاحب شيزر فأمرت بإعتقالهما بالقلعة، ومصادرة أموالهما ولعل هذا يبين لنا مدى حزم هذه السيدة وقدرتها السياسية حتى أنها قضت على تلك الفتنة فى بدايتها (52).

ولم يلبث أن توفى الملك الأشرف موسى الأيوبى عام 1237م، وقد أوصى أن يخلفه فى دمشق أخوه الصالح إسماعيل صاحب بصرى الذى سار على نفس النهج، وأعاد تكوين الحلف المضاد للسلطان الكامل، فأرسل إلى ملوك الشام " ليحلفوا له ويتفقوا معه على القاعدة التى كانت مقررة بينهم وبين الملك الأشرف " (53). ووافق الحلبيون وعلى رأسهم الصاحبة ضيفة خاتون على ذلك، وحلفوا له كما حلف له بقية ملوك الشام فيما عدا الملك المظفر صاحب حماه.

وما أن سمعت حلب بموت الكامل حتى سارعت إلى أخذ المعرة من الملك المظفر، ثم حاصرت حماة وضيقت عليها الخناق حتى أنفق الملك المظفر الأموال الكثيرة، فأمرت الصاحبة ضيفة خاتون بالرحيل عنها عام 1238م، وكان سبب ذلك موافقة صاحب حماة الملك الكامل على الهجوم على حلب بعد إستيلائه على دمشق، ولكنه توفى قبل ذلك(54)، يتضح من ذلك أن ضيفة خاتون كانت تسوس كل الأمور فى حلب حتى فى أمر الحرب، وتتدخل فى وضع خطط الحرب وهى التى أشارت عليهم بالبدء بالمعرة ثم حماة، ومما يؤكد إدراكها للأمور الحربية وحنكتها السياسية نجاح سياسة الضغط التى إتبعتها مع صاحب حماة فى أن تبقى المعرة فى أيدى الحلبيين (55).

كما أنه فى نفس الوقت الذى توفى فيه السلطان الكامل وصل رسول السلطان غياث الدين كيخسرو إلى " الخاتون الملكة " وطلب منها الزواج من إبنة الملك العزيز (غازية خاتون) وأن يزوج الملك الناصر من أخت السلطان غياث الدين كيخسرو ووافقت الصاحبة ضيفة خاتون على هذا الزواج السياسى حتى يكون سلاجقة الروم ردءاً لها ضد أى عدوان

عليها سواء مصر أو من الشام (56).

ولم تشأ ضيفة خاتون أن تدخل فى عداوة جديدة مع ابن السلطان الكامل الملك الصالح نجم الدين أيوب، فأرادت أن تكسب الجميع إلى صفها من أجل الحفاظ على عرش حلب، وقد نجحت فى ذلك إلى حد كبير، ذلك أن الخوارزميين قد خرجوا على الملك الصالح وإستولوا على البلاد، كذلك طمع السلطان غياث الدين كيخسرو فى أملاك الصالح أيوب فى الجزيرة، لذلك لجأ إلى التحالف مع ملوك الأيوبين فى الشام على إقتسام أملاكه فى الجزيرة، ويلاحظ أن ضيفة خاتون قد وقعت على هذا العرض من قبل سلاجقة الروم، غير أنها فى نفس الوقت لم تقدم على الإستيلاء على تلك البلاد، ولم تتعرض لشىء منها، حيث أنها " لم تؤثر مضايقة بن أخيها الملك الصالح فى البلاد "، ولما رأى الملك الصالح أيوب هذا الموقف من عمته ضيفة خاتون أرسل يعرض عليها أخذ البلاد وغيرها من بلاده فقال لها "البلاد كلها بحكمك وإن شئت إرسال نائب يتسلم هذه البلاد وغيرها فأرسليه لأسلم إليه ما تأمرين بتسليمه فشكرته وطيبت قلبه " (57).

ومن ثم أرادت ضيفة خاتون أن تستمر العلاقة الحسنة بينها وبين سلطان سلاجقة الروم، كما إنها لم تشرع فى الإستيلاء على أملاك الصالح أيوب، مما يؤكد حنكتها وقدرتها السياسية، وقد أتت هذه السياسة ثمارها عندما إعتلى الصالح أيوب عرش السلطنة فى مصر عام 1239م، وكانت الصاحبة ضيفة خاتون قد أرسلت إلى مصر إبن العديم ليطلب من السلطان العادل الثانى إحضار عماته بنات الملك العادل إليها، ويقول ابن العديم فى هذا الصدد " إستحضرنى الملك الصالح أيوب وقال تقبل الأرض بين يدى الستر العالى، وتعرفها أننى مملوكها وأنها عندى فى محل الملك الكامل وأنا أعرض نفسى لخدمتها، وإمتثال أمرها فيما تأمر به " (58) وربما أراد من ذلك أن يرد لها الجميل ويبجلها ومن ناحية أخرى يضمن ولاءها خاصة وأن حلب تمثل جزءاً كبير من بلاد الشام، وأن هناك أجزاء كبيرة من بلاد الشام تقف ضده مثل دمشق وحمص (59)، ويؤكد ذلك ابن العديم عندما مر بدمشق بعد خروجه من مصر، حيث وصل إليها فى عام 1241م إلتقى بالصالح إسماعيل وحمله رسالة

إلى الصاحبة ضيفة خاتون يطلب منها مساندته ضد الصالح فلم تجبه إلى ذلك (60).

وهكذا إستطاعت ضيفة خاتون الحفاظ على عرش حلب ولم ترد إستعداء الصالح مثل أبيه الكامل، فأمنت شره ورتبت البيت الحلبى من الداخل وأمنته فى مواجهة الأخطار الخارجية، والتى كان من أهمها التركمان مستغلين وفاة الملك العزيز فقد هاجموا فى جمع كبير بقيادة رجل يدعى قنغر أطراف بلاد حلب، وتكررت هذه الإغارات من قبل التركمان أكثر من مرة، حيث كان قنغر هذا ومن معه يهاجمون أطراف حلب، ثم يدخلون إلى بلاد سلاجقة الروم، فأرسلت الصاحبة القوات الحلبية ورائهم، وتمكنت من إنزال الهزيمة بالتركمان، وظنت القوات الحلبية أن ذلك بإيعاز من سلطان سلاجقة الروم؛ لذلك أرسلوا إليه يخبروه بأمر هؤلاء التركمان، فأنكر معرفته بهذا، وأمر برد جميع ما أخذ من أعمال حلب بل أعلن نصرته ووقوفه مع السلطان الناصر صاحب حلب ضد أى عدوان عليه لذلك كف التركمان أيديهم عن حلب (61).

ولم يلبث أن إنتهز الصليبيين فرصة وفاة الملك العزيز وهاجم فرسان الداوية فى بغراس التابع لحلب فى عام 1237م، وإستولوا على ما فيه، ولما علمت الصاحبة بذلك أمرت القوات الحلبية بنجدة العمق، وخرج الملك المعظم توران شاه بن صلاح الدين مقدم القوات الحلبية على رأس جيش كبير إلى بغراس لمهاجمة الداوية، ولما وصلت القوات الحلبية إلى بغراس حاصروها وشددوا الحصار عليها، حتى كاد الحصن أن يسقط، لولا تدخل بوهيمند الخامس صاحب أنطاكية وطرابلس (1233-1251 م) حيث شفع للداوية لدى اللك المعظم توران شاه .، وعرض عليه عقد هدنة معهم، ووافق الملك المعظم على الهدنة ورحلوا عن بغراس بعد أن خربت خراباً شديداً ؛ ثم تحركت القوات الإسلامية، ووصلت إلى دربساك حيث رأى الداوية فى هذه الهدنة إذلالاً لهم، فسارعوا بنقضها بعد فترة قصيرة وتمكنوا من إعداد حملة كبيرة بمساندة صاحب جبيل وغيره من الصليبيين، وتحركوا لشن هجوم مفاجىء على دربساك، وعندما وصل الخبر بذلك إلى القوات الحلبية القريبة منهم تحركت من فورها إلى دربساك لنجدتهم وإلتقت مع القوات الصليبية، وتمكنت من إنزال هزيمة ساحقة غير أن

القوات الحلبية لم تتعقبهم إلى بغراس، ولم تحاول الإستيلاء عليها، ربما لكى يتفرغوا لمواجهة أطماع السلطان الكامل(62) كما ذكرنا من قبل.

ذلك عن التركمان والصليبيين، أما الخوارزمية فقد إستولوا عام 1240م على "أوشين" التابعة للبيرة، وهاجموا أطراف البيرة، كما إستولوا على قلعة حران، فإمتدت أطماعهم إلى البلاد المجاورة لهم، وكثر ضغطهم على الملك الحافظ أرسلان بن الملك العادل بناحية جعبر، وهو يداريهم ويبذل لهم الأموال وأطماعهم تشتد، فإضطر الملك الحافظ إلى مراسلة أخته ضيفة خاتون صاحبة حلب يعرض عليها التنازل عن قلعة جعبر، وبالس مقابل ما يقوم مقامهما من أعمال حلب، ووافقت ضيفة خاتون على ذلك خاصة وأن أخيها كان قد إشتد به المرض وأصبح غير قادر على الدفاع عن بلاد الجزيرة ويخشى أن يقوم إبنه بتسليمها إلى الخوارزمية (63).

وبالإضافة إلى ذلك فقد نجحت الصاحبة ضيفة خاتون فى إستقطاب العربان من جيش الخوارزمية، فوافقهم على بن حديثة، وأمرت طاهر بن غنام من آل فضل على سائر العربان، " وزوجته الصاحبة بعض جواريها وأقطعته إقطاعاً يرضيه" (64).

تصدى الجيش الحلبى للخوارزميين مدافعاً عن أطراف حلب، إلا أنه إنهزم أمام جموعهم الكثيرة، وقتل خلق كثير، وأسر قائد العسكر الملك المعظم توران شاه، وإستولى الخوارزميين على أثقالهم (65)، إلا أن الحلبيين حملوا عليهم ثانيا بالإستعانة بالملك المنصور إبراهيم صاحب حمص، كما أرسلت الصاحبة ضيفة خاتون إلى أخيها الصالح إسماعيل فى دمشق إبن العديم لطلب النجدة، فإستجاب لها (66) ، ولم تكتف الصاحبة ضيفة خاتون بالتحالف مع الصالح إسماعيل صاحب دمشق بعد أن كانت خذلته من قبل، ورفضت أن تسانده ضد الصالح أيوب، بل نجدها تلجأ إلى إطلاق أسارى صليبى الداوية الذين أسروا فى حلب وقت إغارتهم على إقليم العمق عام 1237م؛ وذلك حتى تضمن عدم مهاجمة الصليبيين لها وقت إنشغالها مع الخوارزميين (67).

على أية حال فقد ولى الخوارزميون منهزمون وإستولى عسكر حلب على معاقلهم

كلها غير أنه عام 1242م، عاد الخوارزميون للإعتداء على حلب فخرج لهم عسكر حلب وحدثت بين الفريقين معركة عند المجدل أسفرت عن هزيمة الخوارزميين وحلفاؤهم والإستيلاء على كل ما يملكونه فى عسكرهم (68).

ومثلما تفوقت ضيفة خاتون فى العمل السياسى ومواجهة الأخطار الداخلية والخارجية وحافظت على إستقلال حلب لإبنها ولإبنه من بعده، نجدها أيضاً تتفوق فى العمل الإجتماعى فقد كانت ملكة عادلة فى الرعية، قدمت إليهم الكثير من الأموال، ورفعت عن كاهلهم كافة الضرائب والمكوس والمظالم، بالإضافة إلى أنها كانت تؤثر الفقراء والزهاد، كثيرة الإحسان والتحنن إليهم، ولم تقتصر سياستها على الرعية فى حلب، بل إمتدت إلى كافة أعمالها، ولم تزل صدقاتها دارة وإحسانها واصلاً إلى كل من يفد إلى بابها وما قصدها أحد إلا رجع مجبراً مجبوراً (69).

كما ينسب إليها رعاية عناصر الزهاد والعباد، فقد أنشأت الفردوس وجعلتها تربة ومدرسة، ورباطاً وجامعاً، ورتبت فيها خلقاً من القراء والفقهاء والصوفية (70)، كما أنشأت خانقاه الفرافرة (71)، والتى ينقطع فيها الصوفية للعبادة والذكر كما تحوى أخلاطاً من الفقراء وأبناء السبيل (72). وهكذا إمتازت ضيفة خاتون بنشاط وافر فى العمل السياسى والإجتماعى (73) جعلت أبواب حلب تغلق لموتها لمدة ثلاثة أيام (74).

وعندما نقارنها بالملكة الصليبية ميلسندا سواء على المستوى السياسى أو الإجتماعى نجد أنه على المستوى السياسى لم تستطع الملكة ميلسندا رغم حكمها لمدة 22عاماً أن توحد الجبهة الداخلية للصليبيين فى مواجهة الخطر الإسلامى المتزايد بل وعلى العكس ساهمت فى إندلاع حرب أهلية عملت على تقسيم المملكة إلى نصفين فأحدثت الفرقة فى صفوف الصليبيين كما أنها لم تستطع أن تتصدى للأخطار الخارجية المتمثلة فى حركة الجهاد الإسلامى، بدءاً من سقوط الرها وفشل الحملة الصليبية الثانية ثم إستيلاء نور الدين محمود على دمشق عام 1153 م، ومن ثم يمكننا القول أنها ساهمت بطريق غير مباشر فى فشل

المشروع الصليبى فى بلاد الشام بينما نجد ضيفة خاتون أي قرابة ربع مدة حكم ميسلندا باستثناء عامين استطاعت على الرغم من أن مدة حكمها أقل وهو ست أعوام أن تحافظ على إستقلال حلب لإبنها ولإبنه من بعده، وتمكنت من مواجهة الأخطار الداخلية المتمثلة فى إنقسامات البيت الأيوبى، والخارجية المتمثلة فى التركمان والصليبيين والخوارزميين، بل ويكمننا القول أنها حافظت على حلب، والتى كان عليها ضغط شديد من قبل القوى الصليبية على مدى الصراع الصليبى – الإسلامى.

وإذا كان هناك وجه إتفاق بين الملكة ميلسندا وضيفة خاتون فإن كلتاهما ساهمت بطريقة غير مباشرة فى فشل المشروع الصليبى فى بلاد الشام، ونجاح حركة الجهاد الإسلامى.

أما على المستوى الإجتماعى فنجد تفوقاً ظاهراً لضيفة خاتون، الذى كان نتاجاً لتفوق الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، وذلك على عكس الملكة ميلسندا والتى كانت نتاجاً لكيان صليبى عدواني غاشم قائم على دعم آلة الحرب وسفك الدماء فقط على نحو ذكرناه من قبل.

## الهوامش

* أوتجه بالشكر للأستاذ الدكتور محمد مؤنس عوض الذي أقترح عليَّ موضوع موضوع هذا البحث وشجع لي بالمشاركة في تكريم العلامة ا. إسحق عبيد.

(1)William of Tyre , History of the deeds done beyond the sea,Trans.by Bebcock and Krey ,Vol .II, New York 1943, PP.135-139, Mayer (H.E.)," Studies in the History of Queen Melisenda of Jerusalem",D.O.P., Vol.XXVI, 1972, PP.93-182.

أسامة زكى زيد، "ملكات بيت المقدس فى القرن الثانى عشر الميلادى /السادس الهجرى "، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، عدد 8، يناير 1995م، ص21-66.

(2) "السيدة ضيفة خاتون ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر ولدت فى عام 1185 م / 581 هـ بقلعة حلب حين كان والدها ملكاً على حلب من قبل أخيه صلاح الدين وسبب تسميتها صيفة أنه كان عند أبيها ضيف وقت ولادتها فسماها ضيفة وهى شقيقة الملك الكامل محمد الذى إعتلى عرش السلطنة بعد وفاة والده العادل " أنظر :-

ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق خليل منصور، ط.بيروت1996 م، ص513؛ أبو الفداء، المختصر فى أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم عرب ويحى سيد حسنين، ج3، ط.القاهرة ب.ت، ص207-208؛ ابن الوردى، تتمة المختصر فى أخبار البشر، ج2، ط.القاهرة 1285م، 1866م، ص172؛ الحنبلى، شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوى، ط.القاهرة 1996م،ص283 .

(3) الخاتون كلمة فارسية ومعناها المرأة صاحبة الكلام فى البيت المتصرفة فيه ومنها خاتون التركية والكردية أنظر :- السيد آدى أشير، الألفاظ الفارسية المعربة، ط.القاهرة 1988 م، ص51.

(4) عن الملك بلدوين الثانى أنظر:-

William of Tyre,op.cit, Vol.I,P.95,P.116,Vol.II,PP.45-

46.

صفاء عثمان محمد إبراهيم، مملكة بيت المقدس فى عهد الملك بلدوين الثانى، ط.القاهرة 2008م.

(5)Runciman ,A history of the Crusades, Vol.II, London, 1978, P.117, La Monte (J.) ,The Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem ,Cambridge1932 , New York1970,P.10, Mayer (H.E.),"The Succession to Baldwin of Jerusalem English Impact on the East", D.O.P, Vol.XXVI, 1972,PP.93-187.

حسين مؤنس، نور الدين سيرة مجاهد صادق، ط. القاهرة 1984م، ص154.

(6) عن فولك أوف أنجو أنظر :-

Orderic Vitalis , The Ecclesiastical History of Orderic Vitalis, ed.and trans.by Marjorie Chibnall, Oxford1973, William of Tyre, op.cit, Vol.II, PP.47-91, Mayer (H.E.), "Angevins versus Normans the Men of king Fulk of Jerusalem ", A.P.S.,Vol.133,1989.

سرور عبد المنعم، السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد فولك أوف أنجو (1131-1143م/ 526-538 هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس عام 2001م؛ "الأوضاع الداخلية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك فولك الأنجوى "، ضمن دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، إصدار د.محمد مؤنس عوض، ط.القاهرة 2003م.

(7) وليم الصورى، الحروب الصليبية، ت.حسن حبشى، ج3، ط.القاهرة 1994م،ص123-124؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص156؛ سرور عبد المنعم، السياسة الداخلية والخارجية، ص65-69.

Runciman,op.cit,Vol.II, PP. 192-193, La Monte, op.cit, P.13, Mayer, Queen Melisenda , P.102

(8) وليم الصورى، المصدر السابق، ج3، ص125 ؛حسين مؤنس، المرجع السابق، ص157.

Runciman,op.cit,Vol.II, PP.193, Mayer,Queen Melisenda, P.104.

(9) عن الملك بلدوين الثالث أنظر:-

عبد اللطيف عبد الهادى، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك بلدوين الثالث (1146-1163)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1990م.

Baldwin , The Latin States Under Baldwin III and Amalric I, (1143-1174), In Setton, A History of the Crusades , Vol.I, Pennsylvania1985.

(10) عن سقوط إمارة الرها الصليبية أنظر :-

ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ط.بيروت 1908م، ص279-280؛ الأصفهانى، تاريخ دولة آل سلجوق،ط.بيروت 1980م، ص 187؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، تحقيق يوسف الدقاق، ج9، ط.بيروت1998م، ص331-332؛ التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، ط.القاهرة 1963م، ص66- 69؛ أبو شامة، الروضتين فى أخبار الدولتين، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ج1، ط.بيروت2002م، ص170-171؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص324-325؛ ابن واصل، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، ج1، ط.القاهرة 1953م، 93-94؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ط.بيروت 1997م، ص196؛ اليافعى اليمنى المكى، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تحقيق خليل منصور، ج3، ط.بيروت1997م، ص207؛ علية الجنزورى، إمارة الرها الصليبية، ط.القاهرة 1986م، ص307-318.

Eugene III Announce a Crusade 1145, In Thatcher , A Source Book of Medieval History, NewYork1905, Nerses Schnorhali, Eligie sur la prise d'Edessa, R.H.C.,

Doc.Arm,T.I,Paris1869,PP.227-268, Gregoire le Pretre, R.H.C.,Doc.Arm,T.I,Paris1869,P.157,Alptekin (C.), The reign of Zangi (521-541/1127-1146), Ataturk University, Erzurum1978,PP.64-65,Gibb(H.),” Zengi and the full of the Edessa” In Setton, A History of the Crusades, Vol.I, Pennsylvania1985,461.

(11) وليم الصورى، المصدر السابق، ج3، ص238 ؛حسين مؤنس، المرجع السابق، ص173.

Mayer,Queen Melisenda,P.117

(12)William of Tyre, op.cit, Vol.II, P.142, Grousset (R.), Histoire des Croisades ,T.II, Paris 1943, P.128, Richard(J.), Le Royaume Latin de Jerusalem, Paris1953, P.46, La Monte,op.cit,P.194.

علية الجنزورى، المرجع السابق، ص311.

(13) وليم الصورى، المصدر السابق، ج3، ص331.

(14) Grousset (R.),op.cit,T.I,PP.174-175.

(15)William of Tyre,op.cit, Vol.II,PP.142-143,Grousset (R.), op.cit, T.II,P. 182, Cahen (C.), La Syrie du Nord, Paris 1940, P.370.

علية الجنزورى، المرجع السابق، ص311.

(16) صفاء عثمان محمد إبراهيم، عوامل فشل المشروع الصليبى فى القرنين 12-13م/6-7هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 2010م.، ص95.

(17) سعيد عاشور، "ملامح المجتمع الصليبى فى بلاد الشام "، مجلة المستقبل العربى، العدد102، أغسطس 1987م، ص37.

(18) جون لامونت، " الحروب الصليبية والجهاد "، ضمن كتاب دراسات إسلامية، ت.نقولا زيادة، ط.القاهرة 1960م، ص115 ؛عبد الرحمن زكى، معركة المنصورة وأثرها فى

الحروب الصليبية، ط.القاهرة 1960م، ص21.

(19) وليم الصورى، المصدر السابق، ج3، ص307-308.

Runciman, op.cit, Vol.II, PP.280-281, Mayer, Queen Melisenda, P.126.

(20) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ط.القاهرة 1963م، ص630.

Berry(G.V.), "The Second Crusade", In Setton, A History of the Crusades , Vol.I, Pennsylvania1985,P.505.

(21) إرنست باركر، الحروب الصليبية، ت.السيد الباز العرينى، ط.القاهرة 1960م، ص91؛ محمد مؤنس عوض، فى الصراع الإسلامى الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية، ط.القاهرة 1998م، ص147.

Mayer, Queen Melisenda,PP.123-128.

(22) يوشع براور، الإستيطان الصليبى فى فلسطين، ت.عبد الحافظ البنا، ط.القاهرة 2001م، ص42.

La Monte,op.cit,P.17, Queen Melisenda,P.128.

(23) صفاء عثمان، عوامل فشل المشروع الصليبى، ص99.

(24)سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص630.

(25) عن الحرب الأهلية أنظر:-

وليم الصورى، المصدر السابق، ج3، ص232-336؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص646؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص248.

Runciman ,op.cit,Vol.II,PP.334-336,La Monte,op.cit,P.18, Queen Melisenda,P.95.

(26) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص248.

Runciman ,op.cit,Vol.II,P.334.

(27) وليم الصورى، المصدر السابق، ج3، ص234، 331، 334.

(28) منى سعد الشاعر، " خاتونات البيت الأيوبى ودورهن فى الحياة السياسية والإجتماعية

والعلمية فى العصر الأيوبى "، مجلة المؤرخ المصرى، ع24، كلية الآداب، جامعة القاهرة 2001م، ص172.

(29) ابن العديم، المصدر السابق، ص487؛ ابن واصل، المصدر السابق، تحقيق حسنين ربيع وسعيد عاشور، ج5، ط.القاهرة 1975م، ص116؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص173.

(30) ابن العديم، المصدر السابق، ص487.

(31) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ط.القاهرة ب.ت، ص21، ابن العديم، المصدر السابق، ص487؛ بغية الطلب فى تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، ج2، ط.دمشق 1988م، ص1953؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص194؛ النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق محمد ضياء الريس، ج29، ط.القاهرة 1992م، ص217؛ ويذكر اليافعى "وهى كانت من الأتابك تسوس الأمور " أنظر: مرآة الجنان، ج4، ص68؛ المقريزى، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط.بيروت 1997م، ص377؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، ج5، ط.بيروت 2000م، ص410-413؛ الطباخ الحلبى، أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء، تحقيق محمد كمال، ج2، ط.حلب 1923م، 1988م، ص208؛ يوسف الدبس، تاريخ سوريا، ج6، ط.بيروت 1900م، ص222؛ الغزى، نهر الذهب فى تاريخ حلب، ج3، ط.حلب 1942م، ص115، محمد كرد على، خطط الشام، ج2، ط.دمشق 1983م، ص91؛ سعيد عاشور، الأيوبيين والمماليك فى مصر والشام، ط.القاهرة 1996م، ص116؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص174؛ فادى عبد الرحيم عودة، الحركة الشعرية فى بلاط الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز (634-658 هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس 2010م، ص9.

(32) خليل بدوى، موسوعة شهيرات النساء، ط.الأردن - عمان 1998م، ص162.

(33) الذهبى،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى،

ج46، ط.بيروت 1998م، ص437؛ ابن الوردى،المصدر السابق، ج2، ص172؛ ابن أيبك الصفدى، الوافى بالوفيات، تحقيق وداد القاضى، ج16، ط. فرانزشتايز شتوتغارت1991م، ص328؛ الحنبلى، شفاء القلوب، ص283؛ سبط بن العجمى، كنوز الدهب فى تاريخ حلب، تحقيق شوقى شعث وفالح باكور، ج1، ط.حلب1996م، ص328؛ يوسف الدبس، المرجع السابق، ج6، ص229؛ عمر رضا كحالة، أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام، ج2، ط.دمشق1959م،ص339؛ محمد كرد على، المرجع السابق، ج2، ص98.

(34) ابن العميد، المصدر السابق، ص32؛ الذهبى، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص473؛ ابن أيبك الصفدى، المصدر السابق، ج16، ص328.

(35) منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص178.

(36) الذهبى، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص216؛ ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر أرناؤوط- محمود أرناؤوط،ط.بيروت1998م،ص294.

(37) ابن العديم، المصدر السابق، ص487؛ الطباخ الحلبى، المرجع السابق، ج2، ص215-216 ؛حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ط.القاهرة 1989م، ص146؛ محمد كرد على، المرجع السابق، ج2، ص 106.

(38) سبط بن الجوزى، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، ج8، ط.حيدر آباد الدكن 1951م، ص597؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ج5، ط.بيروت2002م، ص171؛ ابن سباط، تاريخ بن سباط، تحقيق عمرعبد السلام تدمرى، ج1، ط.طرابلس1993م، ص264؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج3، ص212.

(39) أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص351؛ الذهبى، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46،ص437؛ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، ص94؛ خير الدين الزركلى،الأعلام، ج3، ط.بيروت2002م،ص216؛ على السيد على، المرأة المصرية

والشامية فى عصرالحروب الصليبية،ط.القاهرة 2002م،ص58.

(40) خير الدين الأسدى، أحياءحلب وأسواقها، تحقيق عبد الفتاح رواسى القلعرجى، ط.بيروت1990م،ص39.

(41) " ومنها السفارة التى أرسلت فيها المؤرخ ابن العديم إلى الملك العادل الثانى الأيوبى فى القاهرة ليطلب من العادل أن يسير معه بنات الملك العادل الأول فأجابها إلى ذلك ثم حدث أن صار الملك الصالح سلطانا على مصر قبل رحيل ابن العديم من القاهرة فإستحضره الصالح وأكرمه وزوده برسالة إلى ضيفة خاتون جاء فيها أنه " يقبل الأرض بين يدى الستر العالى ويعرفها أنه مملوكها وأنه بمحل الك الكامل وأنه يعرض نفسه لخدمته وإمتثال ما ترسم به " أنظر: زبدة الحلب، ص500؛ على السيد على، المرجع السابق،ص58.

(42) النويرى، المصدر السابق،ج29، ص301.

(43) أبو الفداء، المصدر االسابق، ج3، ص207-208؛ الذهبى، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج437،46؛ ابن الشحنة، روضة المناظر فى علم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد محمد مهنى، ط.بيروت1997م، ص252؛ الصفدى، المصدر السابق، ج16، ص328؛ الحنبلى، المصدر السابق، ص83؛الطباخ الحلبى، المرجع السابق،، ج2، ص212؛ عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج2، ص339؛ خليل بدوى، المرجع السابق، ص162؛ الزركلى، المرجع السابق، ج3، ص216؛ خير الدين الأسدى، موسوعة حلب المقارنة، تحقيق الأديب محمد كمال، ط.حلب 2009م،ص224.

(44) ابن العديم، المصدر السابق، ص450-451؛ابن أيبك الدوادارى، الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب؛ تحقيق سعيد عاشور،ط .القاهرة 1972م، ص176-178؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص207-208؛ الذهبى، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص473؛ الصفدى، المصدر السابق، ج16، ص328؛ ابن الفرات، تاريخ بن الفرات، تحقيق حسن الشماع، ج1، ط.القاهرة 1970م، ص119-126؛ المقريزى، المصدر السابق، ج1،ص293-295؛ الحنبلى، شفاء القلوب، ص283؛ سبط بن العجمى،

المصدر السابق، ج1، 327؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج3، ص212-214؛ النعيمى، الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ج1، ط.بيروت 1990م، ص259؛ الطباخ الحلبى، المرجع السابق، ج2، 212؛ يوسف الدبس، المرجع السابق، ج6، ص229.

(45) عن وفاة الملك الظاهر أنظر: -

ابن الأثير، الكامل، ج10،، ط.بيروت 2004 م، ص369؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، ج5، ص145؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص454؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، ج4 ،ط.بيروت1971م، ص6؛ ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ط.بيروت 1983م، ص403؛ أبو الفداء، التبر المسبوك فى تواريخ الملوك، تحقيق محمد زينهم محمد عرب، ط.القاهرة 1995م، ص73؛ ابن الكثير، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن التركى، ج17، ط.القاهرة 1998م، ص52؛ الذهبى، العبر فيمن غبر، ج3، ط.بيروت 1985م، ص16؛ ابن الفرات، المصدر السابق، ج1، ص201-204؛ المقريزى، المصدر السابق، ج1، ص305؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج3، ص241؛ ابن سباط، المصدر السابق، ج1، صص256؛ يوسف الدبس، المرجع السابق، ج6، ص203.

(46) عن الملك العزيز أنظر :-

سبط بن الجوزى، المصدر السابق، ج8، ص703؛ ابن العميد، المصدر السابق، ص8، ص21؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص485؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص9-10؛ ابن العبرى، المصدر السابق، ص473؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص194؛ ابن القوطى، الحوادث الجامعة والتجارب النفعة، ب.ط ب.ت، ص41؛ النويرى، المصدر السابق، ج29، ص217؛ ابن الكثير، المصدر السابق، ج17، ص229؛ الذهبى، دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مروة ومحمود أرناؤوط، ج2، ط.بيروت 1999م، ص145؛ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص216؛ اليافعى اليمنى،

المصدر السابق، ج4، ص68؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج5، ص405؛ ابن دقماق، نزهة الأنام فى تاريخ الإسلام، تحقيق سمير طياره، ط.بيروت1999م، ص85-86؛ المقريزى، المصدر السابق، ج1، ص377؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ج16، ط.بيروت1992م، ص634؛ الحنبلى، شفاء القلوب، ص309؛ ابن سباط، المصدر لاسابق، ج1، ص309؛ يوسف الدبس، المرجع السابق، ج6، ص 222؛ محمد كرد على، المرجع السابق، ج2، ص291.

(47) عن الملك الناصر أنظر :-

فادى عبد الرحيم عودة، الحركة الشعرية فى بلاط الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز (634-658 هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس 2010م.

(48) عن وفاة ضيفة خاتون أنظر:-

ابن العميد، المصدر السابق، ص32؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص207-208؛ الدوادارى، الدر المطلوب، ص351؛ النويرى، المصدر السابق، ج29، ص301؛ الذهبى، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص473؛ ابن الوردى، المصدر السابق، ج2، ص172؛ الصفدى،المصدر السابق، ج16، ص328؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج5، ص413؛ ابن الشحنة، المصدر السابق، ص252؛ الحنبلى، شفاء القلوب، ص283؛ سبط بن العجمى، المصدر السابق، ج1، ص327؛ الطباخ الحلبى، المرجع السابق، ج2، ص212؛ يوسف الدبس، المرجع السابق، ج6، ص6؛ عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج2، ص340؛ خليل بدوى، المرجع السابق، ص162؛ الزركلى، المرجع السابق، ج3، ص216؛ خير الدين الأسدى، موسوعة حلب المقارنة، ص224.

(49) سبط بن الجوزى، المصدر السابق، ج8، ص699-700؛ الدوادارى، المصدر السابق، ص217-218؛ النويرى، المصدر السابق، ج29، ص116-117؛ اليافعى اليمنى، المصدر السابق، ج4، ص69-70؛ المقريزى، المصدر السابق، ج1، ص377-

378؛ الحنبلى، شفاء القلوب، ص271-272؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص122،121،100،77، 144؛ يوسف الدبس، المرجع السابق، ج6، ص222؛عادل عبد الحافظ حمزة، نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (1250-1715م/623-648 هـ)، ج1، ط.القاهرة 2000م،ص53-54.

(50) رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت.السيد الباز العرينى، ج3، ط.بيروت 1997م، ص398.

(51) ابن العديم، المصدر السابق، ص489؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص120-122؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص174؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص11.

(52) ابن العديم، المصدر السابق، ص489؛ ابن الواصل، المصدر السابق، ج5، ص128-130؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص175؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص12.

(53) ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص147؛ سعيد عاشور، الأيوبيين والمماليك، ص1115-116؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، 175.

(54) ابن العديم، المصدر السابق، ص498؛ الغزى، المرجع السابق، ج3، ص116؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص178-179؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص15.

(55) منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص178.

(56) ابن العديم، المصدر السابق، ص494؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص198؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص183؛ الطباخ الحلبى، المرجع السابق، ج2، ص209؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص178.

(57) ابن العديم، المصدر السابق، ص496-497؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص186.

(58) ابن العديم، المصدر السابق،ص500؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5،ص268.
(59) منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص180.
(60) ابن العديم، المصدر السابق،ص500؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص268-269 .
(61) ابن العديم، المصدر السابق،ص 490؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص 130؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص12.
(62) ابن العديم، المصدر السابق،ص490-491؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص132-133.
(63) ابن العديم، المصدر السابق،ص 500؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص203؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص 79؛ الطباخ الحلبى، المرجع السابق، ج2، ص209-210؛ الغزى، المرجع السابق، ج3، ص203؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص15.
(64) ابن العديم، المصدر السابق،ص505؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص288.
(65) ابن العديم، المصدر السابق،ص503؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص283-284؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص13.
(66) ابن العديم، المصدر السابق،ص504-505؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5،288؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص13؛ محمد مؤنس عوض، صلاح الدين بين التاريخ والأسطورة، ط.القاهرة 2008م، ص283 .
(67) ابن العديم، المصدر السابق،ص505.
(68) ابن العميد، المصدر السابق،ص32؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص511-512؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص311؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص13.
(69) الذهبى، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص473؛ الصفدى،المصدر السابق، ج16، ص328؛ سبط بن العجمى، المصدر السابق، ج1، ص328؛ ابن

واصل، المصدر السابق، ج5، ص313.

(70) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق زكريا عبادة، ج1، ط.دمشق 1991م، ص261؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب فى تاريخ حلب، ط.دمشق1984م، ص113؛ سبط بن العجمى، المصدر السابق، ج1، ص322؛ الطباخ الحلبى، المرجع السابق، ج2، ص 213-217؛ الطباخ الحلبى، المرجع السابق، ج2، ص289-291؛ أبو فرج العش، أثارنا فى الإقليم السورى، ط.دمشق 1960م، ص70؛ عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج2، ص339؛ محمد كرد على، المرجع السابق، ج6، ص106؛ عفيف بهنسى، الشام والحضارة دراسة تاريخية، ط.دمشق 1986م، ص158؛ خير الدين الأسدى، أحياءحلب وأسواقها، ص298-300؛ خير الدين الأسدى، موسوعة حلب المقارنة، ص224.

(71) خانقاه كلمة فارسية معناها بيت وجعلت فى بادىء الأمر لإنقطاع الصوفية فيه للعبادة والذكر ويمكن القول بأن الخانقاه فى عصر سلاطين المماليك أصبحت مسجد وبيت للصوفية وقد تكون مسجد ومدرسة ومساكن للطلبة كذلك أطلق لفظ خانقاه على المكان الذى يجتمع فيه الصوفية لممارسة وظيفة التصوف أنظر: محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، ط.القاهرة 1990م، ص39.

(72) ابن شداد، المصدر السابق، ج1، ص237؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص108؛ الطباخ الحلبى، المرجع السابق، ج2، ص 212؛ الغزى، المرجع السابق، ج2، ص8؛ عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج2، ص339؛ أحمد رمضان، المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام، ط.القاهرة 1977م، ص152؛ محمد كرد على، المرجع السابق، ج6، ص143؛ عفيف بهنسى، المرجع السابق، ص158؛ خير الدين الأسدى، أحياءحلب وأسواقها، ص94، 291، 292، 402.

(73) محمد مؤنس عوض، صلاح الدين بين التاريخ والأسطورة، ص283.

(74) الذهبى، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص 473؛ الصفدى، المصدر السابق، ج16، ص328؛ سبط بن العجمى، المصدر السابق، ج1، ص328.